المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل وتأثيرها على النمو العمراني الحضري فيها

الدكتور احمد قاسم الجمعة
كلية الآداب /جامعة الموصل

يتناول البحث نبذة عن الخلفية التاريخية لمدينة الموصل ، وموقعها القديم ، وخططها وطبيعة المتغيرات التي طرأت عليها حتى آلت إلى شكلها التراثي ، مع التركيز على المميزات والتصاميم المعمارية لأبنيتها ، وتتبع اصولها ، والتطرق لوظائفها ، وكيفية معالجتها لمشكلات السكن المختلفة ، ووضع الحلول لها ، ومدى تأثير ذلك على النمو الحضري فيها.

فالموصل من المدن الموغلة بالقدم ظهرت على مسرح الأحداث بصورة جلية كقلعة في العهد الآشوري ، ثم وقعت في فترة من الزمن تحت تأثير الغزاة من فرس وبيزنطيين.

وفي سنة ١٦هـ / ٦٣٧ م حررها العرب المسلمون ، ومصرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (١) ، ثم حظيت باهتمام الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن ابي

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٧م ، ق٢ ، ص ٤٠٧ – ٤٠٨ ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢هـ ، ص ١٢٨ .

طالب رضي الله عنهما . حتى غدت من الامصار المهمة بالاسلام (١) .

ونالت اهتمام الأمويين (٢) ، والعباسيين (٣) من بعدهم ، ولما ملكها بنو حمدان (٢٩٣ – ٣١٧ هـ/ ٩٠٥ – ٩٢٩ م) توسعت احياؤها وكثرت اسواقها وفنادقها(٤)

وبلغت أوج عظمتها المعمارية والفنية في العهد الاتابكي (٥)(٥٢١ – ٦٦٠هـ ١١٢٧ – ١٢٦١م) ، ولكن سرعان ماتدهورت احوال المدينة بعد خضوعها للغزو الايلخاني (٦) والقبائل التركمانية ، والتيموري ، وأخيراً خضعت للسيطرة العثمانية التي ترجع اليها معظم المباني التراثية ، ولاسيما عهد الولاة الجليليين (١١٣٩ – ١٢٤٩ هـ /١٧٢٦ – ١٨٣٤(٧)

والمباني التراثية التي نحن بصدد التطرق الى مميزاتها وتصاميمها المعمارية تتمركز في الموقع القديم لمدينة الموصل (تخطيط ١) .

ولقد لعبت عدة عوامل في رسم الخارطة المعمارية لمدينة الموصل ولا سيما التراثية منها : البيئة ، والظروف المناخية ، والخبرات المحلية ، والتقاليد والعادات الاجتماعية والدينية ، والاحداث السياسية ، ومواد البناء .

وقد أثرت تلك الخارطة تأثيرا ايجابيا على النمو الحضري في المدينة نتيجة معالجتها تلك العوامل ، ووضع الحلول العملية لبعض المشكلات التي تمخضت عنها ، وتعد نموذجا جيدا للمدينة العربية الاسلامية التي لبت متطلبات الانسان الضرورية .

والموصل تمتاز بمناخها القاري المتطرف حيث يسودها مناخ حاد جاف صيفا يصل الى ٥٠م° احياناً وبارد ممطر شتاء تصل فيه درجة الحرارة احيانا الى مادون الصفر ، تسقط

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، م ١، ص ١٠٤

(٢) الحموي : معجم البلدان ، لايبزك ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ، م ٢، ص ١٩٦ .

(٣) الازدي : تاريخ الموصل ، تحقيق الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. ج٢ ، ص ١٦٧ .

(٤) احمد قاسم الجمعة : محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة ٦٦٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة القاهرة ١٩٧١ ، ص ٦ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١١ – ١٢ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ، ج ١٣ ، ص ٢٣٤.

(٧) عماد عبدالسلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني ، النجف ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ٤٣٠ .

عليها امطار اعصارية انقلابية ، وتسودها الرياح الشمالية الغربية لمعظم ايام السنة لأن المدينة تخضع الى نمط مناخ استبس المناطق الحارة (١) .

ويمتاز الموقع القديم للمدينة على الضفة اليمنى لنهر دجلة بتباين ارتفاعه الذي يتراوح بين (٢٤٠) مترا في الشمال الى (٢٢٠) مترا في الجوب بالاضافة، الى الانحدار التدريجي باتجاه الجنوب والشرق، كما يمتاز بانحدار عام نحو الشرق والجنوب الشرقي متخذا اشكالا مسطبية تركت بصماتها على المنظور الافقي للمدينة .

وطبيعة هذا الموقع عالجت مشكلة المياه حيث سهلت عملية تصريف مياه الامطار والمياه الثقيلة باتجاه مجرى دجلة (٢). وأبعدت خطر المياه الجوفية عن أسس المباني مما ساعد على اطالة عمرها .

والملاحظ ان مباني الموصل تتركز كثافتها باتجاه نهر دجلة، وهذه الميزة لها أهمية كبرى، لأن النهر اصبح واسطة ربط المدينة مع ظهيرها من المدن الممتدة خطيا مع امتداده وذا تاثير واضح في مناخ المدينة المحلي، كما ان النهر يعد مصدرا رئيسا لموارد المدينة المائية علما بان الانهار كانت في طليعة العوامل التي استقطبت المدن في بداية الاستيطان الحضري (٣)

وأدت الخصائص المذكورة للموقع القديم للمدينة الى احتضان النسيج التراثي فيها، المشتمل على احياء سكنية وعمائر خدمية كالأسواق وما تبعها من خانات وقيساريات وحمامات ومبان دينية كالجوامع وثقافية كالمدارس (تخطيط ٢) .

وقد تبوأت الاسواق ومايتبعها من مبان خدمية محور ذلك النسيج ومن حولها الاحياء السكنية .

وتركزت في الجزء الجنوبي من المدينة عند رأس جسر المدينة القديم (٤) (تخطيط ١). وهذا الجزء كان يمثل مساحة واسعة خالية من الابنية، لذا كان ملائما لوضع

---

(١) الدكتور ازهر السماك وآخرون : استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠) ، جامعة الموصل ١٩٨٥م ، ص ٢٥.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) : المرجع نفسه .ص٥

(٤) بني من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ومر بعدة تجديدات في العصور التالية ، ثم هدم عام ١٩٣٧م بعد انشاء الجسر الحديدي إلى الشمال منه بقليل عام ١٩٣٤م . (سعيد الديوه‌جي : جسر الموصل في مختلف العصور . مجلة سومر ، م١٢ ، لسنة ١٩٥٦ ، ص ٥ – ٩) .

الاسواق لأنه لم يحدث ظغطاً مكانيا على سكان المدينة، ويتماشى وتوسع المدينة نحو الجنوب، الذي بدأ منذ القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي نتيجة لتزايد للسكان والتوسع العمراني (١)، كما ان موقع الاسواق على النهر سهل عملية ربط المدينة تجاريا مع ظهيرها من المدن والقرى الممتدة خطيا مع امتداد النهر ، ويمثل في الوقت نفسه انسب محل لربط المدينة بالمناطق الكائنة الى الشرق من دجلة بواسطة سوق آخر كان يقع قرب رأس الجسر في الجهة المقابلة يقصده أهل تلك المناطق الى زمن قريب .(٢)

وتضم الاسواق التراثية المذكورة سوق باب الجسر او سوق تحت المنارة، ويشتمل بدوره على أسواق فرعية هي : (اسواق الكوازين والحدادين والنجارين والكوازين واليوزبكية) ،وسوق باب الطوب،وسوق باب السراي، وسوق الصاغة او انقرطاسية (تخطيط ٢) .

وتتصف منطقة الأسواق هذه بأنها ذات وظيفة تجارية بحته يندر احتواؤها على وحدات سكنية عدا بعض المباني الخدمية المكملة لوظيفتها كالقيساريات والخانات والحمامات ولهذا يمكن عدها سوقا رئيسا لكافة سكان المدينة والمناطق الحضرية المحيطة بها او القريبة منها.

واهم مايميز هذا السوق او نظيره من الأسواق التراثية في مدن العراق او العربية الاسلامية كثرة رواده بسبب تكامله سلعيا وخدميا في منطقة محدودة المساحة وقد كان ظهور وتطور مثل هذه الاسواق نتيجة تراكمات حضارية عربية واسلامية وان مثل هذه الاسواق لازالت تلبي بشكل كبير متطلبات حاجياتنا اليومية. وقد تنبه كثير من مخططي المدن في البلدان المتقدمة ،وخاصة في اوربا الغربية الى نظام اسواقنا الشرقية ومنافعها المتعددة ولاسيما تركز البضائع المختلفة في اسواق كثيرة متخصصة في حيز مكاني صغير فقاموا بانشاء مايشابهها في العقدين الاخيرين حيث نشاهد مثل هذه الاسواق في الوقت الحاضر في مدن ايطاليا وفرنسا والمانيا الاتحادية (٣).

والجدير بالذكر ان تخطيط مدينة الموصل كان يختلف بعض الشيء عند فتحها

---

(١) الديوه‌جي : المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٩ .
(٣) الدكتور هاشم الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة (دراسة في جغرافية المدن) مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

وتمصيرها من قبل العرب المسلمين سنة ١٦هـ – ٦٣٧م. فقد خطت مواضع سكناها داخل المركب العام للمدينة القديمة بنمط قطاعي لامركزي يلتقي في نواة مركزية (١) ، يمثلها المسجد الجامع وبجانبه دار الامارة (٢)ثم تجاورهما الاسواق ويلي ذلك الاحياء السكنية (٣).

وبطبيعة الحال فان التغيير المذكور في تخطيط المدينة حدث لينسجم مع المميزات العامة لتخطيط المدينة العربية الاسلامية فقد كان محورها المسجد الجامع ودار الامارة وحولهما الاسواق ويلي ذلك الاحياء السكنية كما كان عليه في البصرة والكوفة والفسطاط(٤) وهو التخطيط الذي أوصى باتباعه عند بناء الامصار الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (٥)،ثم امتد الى المدن اللاحقة ولاسيما في المشرق العربي الاسلامي كمدينة واسط (٦) وبغداد (٧) وصنعاء (٨).

وهذا الترابط العضوي بين الوحدات الثلاث لنواة المدينة الاسلامية يرجع لاهميتها العامة لكافة السكان بخلاف بعض الخصوصيات التي تتعلق بالاحياء السكنية .

فالمسجد كان يؤدي وظائف متعددة وذلك لشمولية تعاليم الدين الاسلامي لكل انماط الحياة من دينية وثقافية وسياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية (٩).

---

(١) السماك ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٢) ابن الأثير : اسد الغابة في اخبار الصحابة ، طهران ١٣٧٧هـ ، ج٢ ، ص ٢٦٦

(٣) الازدي : تاريخ الموصل ، ج ٢، ص ١٦٧ .

(٤) الدكتور عبدالرحمن الانصاري : « قرية » الفاو صورة للحضارة العربية قبل اسلام في المملكة العربية السعودية ، جامعة الرياض ٣٧٧ – ١٤٠٧هـ،

(٥) الدكتور عيسى سليمان وآخرون : العمارات العربية الاسلامية في العراق ، ج١ (تخطيط مدن ومساجد) ، بغداد ١٩٨٢م ، ص ٢٥ .

(٦) عبدالقادر المعاضيدي : خطط واسط في العصر العباسي ، مجلة سومر ، م ٣٤ ، لسنة ١٩٧٨ ، ص ١٨٦ .

(٧) حمدان عبدالمجيد الكبسي : اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ، ١٤٥ – ٣٣٤هـ رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ١٩٧٧م ، ص ٣٥ .

(٨) الدكتور خالص الاشعب : تطور العمارة السكنية في صنعاء ، مجلة سومر ، م ٣٤ ، لسنة ١٩٧٨م ، ص ١٩٨ .

(٩) صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري ،بيروت ١٩٨١م ، ص ١٢ .

أما دار الامارة فتبرز اهميتها لالكونها تمثل مسكناً لممثل الخليفة فحسب بل لكونها تحوى مقرات مؤسسات الدولة المالية والادارية وغيرها فاصبحت تمثل سلطة الدولة وهيبتها وقوتها (١). في حين كانت الاسواق مركزاً للنشاط الاقتصادي.

والتخطيط المذكور للمدن الاسلامية قد استمد اصوله من النهج الذي احدثه الرسول(ص) في المدينة المنورة أول عاصمة للمسلمين لدى هجرته اليها، بنى مسجده وبيته ومنهما كانت تدار شؤون المسلمين، كما نقل السوق القديم الى غربي المسجد. وربما تأثر بدوره في تخطيطات بعض المدن العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، كما يلاحظ ذلك في «قرية» الفاو عاصمة مملكة كندة. وعليه فان المسلمين كانوا ينهلون من تراث محلي نقلوه من جزيرتهم العربية ولم يكونوا متأثرين بهذا الشأن بالاقوام الاجنبية كالرومان والفرس. (٢)

كما امتازت مدينة الموصل بتخطيطها الدائري، الآن وجود نهر دجلة في شرقها جعلها على هيئة نصف دائرية (تخطيط ١) . وهذا التخطيط الذي اتبع في مدن عربية في العهد الاسلامي والعهود السابقة له كمدينة بغداد (٣) والحضر (٤) . ويمتد بأصوله الى الحضارات المحلية القديمة ، كما هو الحال في مدينة نيبور في جنوب العراق (١٥٠٠ق.م)(٥) وتمثل بعد ذلك في المعسكرات الآشورية (٦)، كماان التصميم الدائري للمدينة قد عرف في الكتابة المصرية منذ اكثر من ٢٠٠٠ق .م (٧) .

وللتخطيط الدائري فوائده الاقتصادية والدفاعية ،فان محيط قطعة ارض ذات شكل دائري من ناحية الاقتصاد والتوفير في نفقات البناء، أقل من المربع المتساوي في المساحة

---

(١) الدكتور عيسى سلمان وآخرون : العمارات العربية الاسلامية في العراق ، ج٢ (قصور ومشاهد) ، بغداد ١٩٨٢ م ، ص ١٢ .

(٢) الانصاري : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) الدكتور محاد : تخطيط المدن وتاريخه ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٥ م ص ١٠٢ ، شكل ٥٤ .

(٤) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، بغداد ١٩٨٢ م . ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، خارطة ٩ .

(٥) حماد : المصدر السابق ، ص ٩٧ ، شكل ٥١ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٤٩ ، ١٠٥ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ١٤٥ .

بنحو ١١,٢٧٪ ، كما ان التصميم الدائري للمدن يزيد من قوتها ويسهل المراقبة والحماية (١)

واتبع النسيج العمراني المتراص (المتضام) في ابنية الموصل المتمثل بتجمعها وملاصقة بعضها ببعض بجدران مشتركة لايفصل بينها في اغلب الاحيان سوى الطرق والازقة الضيقة المتعرجة (تخطيط ١).

ولقد عالجت خاصية التكوين العمراني المتراص عدة امور مناخية واجتماعية واقتصادية وانشائية، فتجميع المباني ساعد على تقليل تعرض الاسطح الخارجية للمباني لاشعة الشمس صيفاً، كماأدى الى تظليل بعض المباني لما جاورها من مبان اخرى مما نتج عنه الحد من الطاقة الحرارية النافذة الى داخل المبنى (٢). كذلك فان الخاصية المذكورة أدت الى زيادة قوة المباني بفعل استناد بعضها الى بعض، مما يطيل عمرها الزمني.

أما الطرقات والازقة المتعرجة فكانت سبباً في تلطيف درجات الحرارة صيفاً وشتاء حيث أدت الى حماية المارة من اشعة الشمس خلال ساعات النهار بالصيف وذلك بفعل تظليل الممرات نتيجة ضيقها ومابها من انحناءات كثيرة ، اضافة الى التغطية الكلية لبعض اجزائها بالقناطر والمباني او جزئياً لما لواجهاتها من بروزات كثيرة ترتكز عليها الشناشيل ؛ كذلك تعمل على تنقية الهواء حيث تؤدي الى اعاقة حركة الرياح المحملة بالأتربة والرمال خلال المدينة، والاحتفاظ بالهواء البارد المتجمع في طرقات المدينة في اثناء الليل لفترات طويلة خلال ساعات النهار مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة بتلك الفراغات صيفاً، كماانه يحد من سرعة الرياح الباردة شتاء فيساعد على تدفئة المباني الواقعة على تلك الازقة والطرق (٣). وكذلك فان ضيق الازقة يقلل من تعرض الحيطان لاشعة الشمس المنعكسة من ارضيتها (٤).

وامتازت الازقة والطرق في الموصل بكثرة القناطر المعقودة عليها التي عرفت في الموصل منذ القرن الاول الهجري (٥). وقد حققت فوائد انشائية واجتماعية ومناخية حيث أدت الى

---

(١) حماد: المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) محمد بدر الدين الخولي : المؤثرات المناخية والعمارة العربية ، جامعة بيروت العربية ١٩٧٥ م ، ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق نفسه ؛ ص ٤٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

(٥) سعيد الديوه‌جي : البيت الموصلي ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ٦ ، لسنة ١٩٧٥ م ، بغداد ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٤٣ .

تماسك حيطان الدور التي تستند اليها بحيث تكمل خاصية النظام المتراص، كما عملت على ربط الدار التي تفصلها تلك الطرق، وكانت وسيلة لتوسيع الدور ببناء الغرف فوقها وادت الى انتقال أهل الدار بحرية تامة بعيداً عن انظار المارة، علاوة على كونها وسيلة لحماية المارة من تحتها من الحر الشديد صيفاً والامطار شتاء.

والجدير بالذكر ان بعض الموسرين وأرباب الحكم كانو يوصلون بين دورهم الواقعة على جانبي الطرق بممرات تحتها لاسباب دفاعية واجتماعية ومناخية (١).

اما المشربيات المظللة لبعض الطرق والازقة فهي الاخرى حلت مشكلات اجتماعية ومناخية وانشائية. اذ ساعدت اهل الدار على الاطلال على الخارج دون ان يراهم احد ومنعت الاشراف المتبادل في البيوت التي تتقابل طوابقها العليا؛ وخففت من حدة الضوء وحرارة الشمس صيفاً داخل البيت، وسمحت بادخال كمية كافية من الضوء، والهواء الى البيت، وساعدت على تصحيح الطابق الارضي غير المتجانس الى وضع متجانس وأصبحت الآن فكرة الشناشيل سمة ليست مميزة للعمارة العربية فحسب؛ وانما لكل عمائر الاجواء الحارة والتي طورها الاوربيون وسماها المعمار الفرنسي (لي كوربوزيه) كأسرة كأسرة الشمس وأدخلها في تصميم الابنية الحديثة (٢).

وربما كان القانون المعماري الذي أمر الخليفة عمر بن الخطاب(رض) باتباعه المتضمن جعل الشبابيك الكائنة في الطوابق العليا عالية لاسباب اجتماعية وراء ابتكار المشربيات في العهود اللاحقة (٣).

وتستند الشناشيل عادة الى كوابيل متعددةالتحدبات، وهي من العناصر المعمارية التي وجدت في الطرز السابقة للاسلام كالطراز البيزنطي، وتطورت في العصر الاسلامي في مشرق العالم الاسلامي ومغربه حتى بلغت اوج تعقيدها وجمالها الفني في الموصل في القرن (٧هـ - ١٣م) (٤).

---

(١) الديوه جي : المرجع السابق ، ص ٤٤.

(٢) حميد محمد حسن : البيت العراقي في العهد العثماني ، رسالة ماجستير (غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ١٩٨٢ م) ، ص ٣٠٥ .

(٣) الدكتور فريد شافعي : العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ط ١، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٩ .

(٤) الدكتور احمد قاسم الجمعة : العناصر المعمارية والفنية لقبة الصخرة والمسجد الأقصى، مجلة آداب الرافدين ، العدد ١٥ ، لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٦٥

وتفاوت مساحة الدور التراثية في الموصل وعدم انتظام مواقعها على الازقة . ويرجع ذلك الى انعدام السيطرة البلدية أولكونها غير واضحة في القرون السابقة، هذا بالاضافة الى التلاعب الذي كان يمارسه المتنفذون باوضاع العقارات في مناطق سكناهم، وبمرور الزمن فقد تغير التنظيم الداخلي للدور السكنية القديمة، اضف الى ذلك ان الترابط الاجتماعي يجعل من غير المستطاع انيترك السكان الفائضون محلتهم، بل يحاول سكنة المحلة استيعاب الزيادة بواسطة بيع جزء من عقاراتهم الى ابناء جلدتهم وعلى مر الزمن وتكرار هذه العملية فان التصميم والمساحة الاصلية لدورهم واملاكهم سوف تتغير باستمرار وينتج عنها اشكال غير منتظمة ،ولهذه الأسباب فان التنظيم الداخلي للدور السكنية في الموصل التراثية لم يأخذ شكلاً هندسياً منسقاً على امتداد الطرق والازقة التي تقع عليها (١) وأن ساعدت على حل مشكلة اجتماعية.

والجدير بالذكر ان الطرقات وأراضي البناء لم تكن متعرجة في المدن التي أسست في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الاموي ، ولا سيما الامصار كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان (٢) ، بل كانت وفق التخطيط الهندسي الذي أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب حيث كانت الشوارع التي تفصل خطط المدن متوازية ، عرض الرئيسة منها اربعون ذراعاً والمتوسطة عشرون ذراعاً والازقة سبعة أذرع ، كما ان النظام المتراص هو السائد (٣) وربما كان ذلك لأسباب امنية وأقتصادية واجتماعية .

وتمتد اصول التجمع المتراص في المباني والتي تتخللها الازقة الملتوية الى الطرز السابقة للاسلام ولا سيما في العراق (٤) ومصر (٥) وآسيا الصغرى (٦) .

وقد وفق المعمار الموصلي في استخدام مواد في البناء ساعدت على معالجة كثيرمـــن

---

(١) الجنابي : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) شافعي : المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٣) الدكتور عيسى سليمان وآخرون : العمارات العربية الاسلامية في العراق (مدن ومساجد) بغداد ١٩٨٢ م ، ص٢٥ ، ٤٧.

(٤) الدكتور شمس الدين فارس والدكتور سلمان عيسى الخطاط : تأريخ الفن القديم ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص٢٨ .

(٥) توفيق عبد الجواد : تأريخ للعمارة والفن في العصور الاولى ، ج١ القاهره ١٩٧١م ، ص١١ .

(٦) الدكتور سامي سعيد الاحمد : المستعمره الآشورية في آسيا الصغرى . مجلة سومر ، م ٣٣ لسنة ١٩٧٧م ، ص٩٠ .

المشكلات ولا سيما المناخية والانشائية فقد أكثر من استخدام الاحجار الكلسية غير المهندمة والجص للملاط ومادة رابطة في كافة المباني التراثية نظراً لمزاياها الطبيعية ولكثرتها في منطقة الموصل .

فالحجارة الكلسية والجص من المواد التي تمتاز بايصالها البطيء للحرارة مع قابليتها الكبيرة على الاحتفاظ بها ، ولهذا ساعدت في معالجة الظروف المناخية القاسية في المدينة.

فخاصية الايصال البطيء للحرارة تعالج مشكلات المناخ صيفاً حيث تكون درجة الحرارة مرتفعة وتبلغ اقصاها وقت الظهيرة ولفترة زمنية بعدها مما يسبب ضغوطاً حرارية على المباني ، لذا فان الاحجار تعمل على تأخير تسرب الحرارة الى الداخل لوقت تبدأ درجة الحرارة بالخارج بالتدني . اما خاصية الاحتفاظ بدرجة الحرارة مدة طويلة ساعدت على معالجة المناخ شتاء لانها تعد مصدراً للاشعاع الحراري داخل المبنى وخارجه خلال الليل مما يحد من برودة الطقس (١) . ويمكن الحصول على حرارة معتدلة داخل المباني ، هذا بالاضافة الى كون الحجارة غير المهندمة تترك بينها بعض الفراغات في اثناء بنائها مما يساعد على عملية العزل الحراري .

ومن المزايا الاخرى لهذه الاحجار عدم مساعدتها على نقل الصوت بالدرجة نفسها الملاحظة في المواد الاخرى ، كما انها اقل قابلية للتمدد والتقلص جراء التبدلات الحرارية (٢)

وتساعد على زيادة سمك الجدران اكثر من المواد الاخرى والذي بدوره يسهل عملية العزل الحراري ويؤدي الى متانة المباني لتستقيم طويلاً ولعدة اجيال وهي من المزايا البارزة في العمارة الموصلية .

والجدير بالذكر ان سمك جدران المباني من المزايا التي تمثلت في الطرز المعمارية القديمة ولا سيما في العراق (٣) ومصر (٤) والجزيرة العربية (٥) وامتد الى المباني العربية الاسلامية) (٦)

---

(١) الخولي : المرجع السابق ، ص٣٠ .

(٢) الاشعب : المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

(٣) الدكتور حسن الباشا : تاريخ الفن في العراق القديم ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص٥٣ ص٥٣ ، ٥٤ .

(٤) توفيق عبد الجواد : المرجع السابق ، ص٧٩ .

(٥) الانصاري : المرجع السابق ، ص٢٢ .

(٦) الدكتور سعد عبد العزيز الراشد : تقرير موجز لنتائج الموسم الاول للحفائر الاثرية في موقع زبدة الاسلامي ، مايو ١٩٧٩م ، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ، م٧ ، الرياض ١٩٨٠م ، ص٢٦٥ .

اما الجص فهو خير مادة للربط بين الحجارة من حيث سرعة جفافه وقوة تماسكه ، كما ان لونه الابيض وملمسه الناعم اصبح بمثابة مادة عاكسة لاشعة الشمس صيفاً .

واستخدمت النورة في بناء أسس المباني لما لها من قوة التصلب وشدة التماسك مما يؤدي الى متانة وقوة تحمل الأسس (١) .

هذا واكثر المعمار الموصلي من استخدام الرخام في الاعمدة وتأطير الفتحات والمداخل والاواوين ومناطق القناطر والسراديب وتبليط ارضياتها وتأزير الجدران الداخلية لمطاوعته للعمل ويحول دون تآكل الجص وتصدع الجدران على المدى البعيد: وتبليط ارضيات المرافق الداخلية .اما الافنية الخارجية فكانت تبلط بالحلان لمقاومة تأثير الامطار اكثر من المواد الاخرى.

واذا تناولنا تصاميم المباني التراثية في الموصل من دور سكنية وجوامع ومدارس وأسواق وما يتبعها من مباني خدمية كالقيساريات والخانات والحمامات نجدها كانت تمثل أفضل التصاميم للايفاء بالاغراض التي انشئت من اجلها نتيجة معالجتها لكثير من المشكلات ووضع الحلول اللازمة لها ولاسيما المتعلقة بالنواحي المناخية والاجتماعية والاقتصادية والامنيـــة.

فتصميم البيوت السكنية التي تؤلف الاغلبية الساحقة لتلك المباني نجد أن الفناء المكشوف الذي يحيط بجانب أو اكثر من جوانبه اجنحة البيت وملحقاته هو القاسم المشترك بيها وهو التصميم الذي تمثل في منازل العراق القديـم (٢).

ومع ذلك فهناك اختلافات وخصوصيات بين البيوت الموصلية ابعدتها عن صفة التماثل الممل مع الاحتفاظ بانسجامها وتناغمها مع بعضها وكانت أشبه ماتكون باختلاف الهجات بالنسبة للغة الام .

وشملت تلك الاختلافات المساحة ونوعية وعدد اجنحة البيت أملتها عوامل متعددة منها القدرة المالية والمنزلة الاجتماعية وعدد افراد العائلة.فهناك بيوت العامة التي تمثلها بيوت الطبقات الفقيرة ومتوسطة الحال. فبيوت الطبقات الفقيرة تتكون من جناح واحد يتصدر البيت ،بينما بيوت الطبقة المتوسطة يضاف اليها مجنبات تتقدمها اروقة .
امابيوت الخاصة التي تمثلها بيوت الموسرين كبيت التوتونجي (١٢٢٢هـ ـ ١٨١٥م)

(١) علاء الدين أحمد العاني : المشاهد ذات القباب المخروطية في العراق ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص٧٨ .

(٢) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور سيد يعقوب بكر ، ، القاهرة ، ص١٠٧ .

وأرباب الحكم كبيت امين بك الجليلي (١١٦٢هـ - ١٧٤٨م) تتكون من قسمين رئيسين لاسباب اجتماعية احدهما للاستقبال والضيوف ويسمى (الحوش البراني) والآخر للعائلة ويسمى (الحوش الجواني)بالاضافة الى المطبخ وملحقاته (تخطيط٣) ، كما تميزت بوجود اكثر من طابق وبتعدد الاجنحة والملحقات والسراديب وسعة مساحتها ومداخلها (التخطيطات ٣، ٤، ٥، ٦، ١٢).

والجدير بالذكر ان بيوت الخاصة المكونة من قسمين للاستقبال وللعائلة وجدت في بيوت العراق القديم منذ العصر السومري (١)، وشاعت في العهد الآشوري(٢)، كما شوهدت امثلة لها في بيوت مصر القديمة من عهد الدولة الحديثة (٣) والبيوت السورية في العهد الروماني (٤).

وفي العهد الاسلامي طالعتنا امثلة لها في قصرحصن الاخيضر (٥) وقصور سامراء مثل الجوسق الخاقاني وبلكوارا (٦) واستخدمت في البيوت التراثية في البلاد العربية خلال العهد العثماني (٧) لاسباب اجتماعية.

وفي حالة وجود اكثر من جناح في البيت الموصلي تبنى الاجنحة بصورة متقابلة على الجهتين الشمالية والجنوبية لمعالجة مشاكل المناخ القاري المتطرف في المدينة .فالاجنحة الشمالية تكون شتوية لأنها تتعرض لاشعة الشمس في حين توافق الاجنحة الجنوبية فصل الصيف لأنها تتفادى شمس العصر ذات الضغط الحراري العالي.

---

(١) الباشا : المرجع السابق ، ص٥٥ . الخالصي : المرجع السابق ، ص٧٧ .
(٢) الباشا : المرجع السابق ، ص٥٣ .
(٣) كريستان ديروش نو بلكور : الفن المصري القديم ، ترجمة محمود خليل النحاس ، واحمد رضا ومراجعة الدكتور عبد الحميد زايد ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص١٥٥ .
(٤) عفيف بهنسي : تكوين الفن العربي الاسلامي في ديار الشام ، الحوليات السورية ، م٢٢ لسنة ١٩٧٢ ، ص١٩
(٥) فبرنر كاسكل : الاخيضر ، ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي ، سومر ، م ٢٥ لسنة ١٩٦٩ ، ص٣٦ .
(٦) الدكتور فريد شافعي : العمارة العربية ، ماضيها ومستقبلها ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م ،ص٢٩ .
(٧) الحوليات السورية : فن العمارة الاسلامية ، م١٣ لسنة ١٩٥٣ ، ص٨٤ .

وقد تنبه المعمار الموصلي الى هذه الخاصية منذ العهود الاسلامية المبكرة ، كما يلاحظ ذلك في حصن الاخيضر وبعض بيوت سامراء(١)، وشاعت في الوطن العربي لاسيما في العصر العثماني (٢).

ويتكون جناح البيت الموصلي عادة من ايوان وغرفتين على جانبيه وهو المعروف بالطراز الحيري ذي الكمين (تخطيط ٤ ،٥). وساد الطراز الحيري في العراق قبل الاسلام في قصور الحيرة كقصري الخورنق والسدير (٣)، ثم طالعنا هذا الطراز في العصر الاسلامي منذ العهد الاموي، كما في البيوت المكتشفة في الكوفة وواسط واسكاف بني جنيد والشعيبة (٤)، ثم تطور في العصر العباسي، كما في بعض البيوت المكتشفة في الرقة(٥). وحصن الأخيضر (٦)، واستمر الى فترة لاحقـة.

والجدير بالذكر انه وجد مايماثل ذلك بعض الشيء في عهد الدولة الوسطى بمصر القديمة في منطقة اللاهون ، فقد كانت بعض بيوتها القديمة تتألف من قسم أوسط وجناحين(٧

وربما أصل الطراز الحيري مضيف بيت الشعر الذي اعتاد عليه العرب قبل الاسلام حيث يمثل وسط بيت الشعر المضيف الواسع المفتوح من امام وعلى جانبيه مساكن العائلة من القصب (٨). كما توجد في معظم البيوت الآبار لتوفير مياه الغسل عدا الشرب الذي يجلب من نهر دجلة بواسطة السقائين.

والتصميم المعماري للاسواق تتميز بالامتداد الطولي المتوازي لوحدات متماثلة من الدكاكين المتلاصقة على جانبي طرق وممرات ضيقة وملتوية (تخطيط ٧) كانت تعلوها سقوف عالية مقببة ذات فتحات جانبية للتهوية والاضاءة . وقد استعيض عنها مؤخراً بسقوف معدنية مسطحة او ذات هيئات جملونية .

---

(١) فريال مصطفى : البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي ، بغداد ١٩٨٣م ، ص١٠٣
(٢) بهنسي : المصدر السابق ، ص٢١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٩ .
(٤) فريال : المرجع السابق ، ص٢٢ .
(٥) بهنسي : المرجع السابق ، ص٢٠ .
(٦) سلمان : العمارات العربية الاسلامية ، ج٢ . ص٣١ .
(٧) الدكتور محمد انور شكري : العمارة في مصر القديمة ، القاهرة ١٩٧٠م ص١٠٥ .
(٨) الدكتور مصطفى جواد : الديوان والكنيسة في العمارة الاسلامية ،سومر ،م ٢٥ لسنة ١٩٦٩ ،ص١٦٦ .

وارتفاع السقوف عالج مشكلة مناخية وهي تخفيف حدة الحرارة صيفاً (١) .

وتتميز الدكاكين بصغر مساحتها وانفتاحها على الطرق بقوس من الرخام وسطحها المقبب (التخطيط السابق) .

وهذا النمط المعماري للاسواق اصبح السمة المميزة للاسواق التراثية في اغلب المدن العربية الاسلامية كمدينتي دمشق وحلب (٢) ؛ كما يمتد باصوله الى الطرز المعمارية القديمة كالطراز الآشوري (٣) .

والمبانّي الاخرى ذات العلاقة بالاسواق والمكملة لعملها فهي القيساريات والخانات .

فالقيساريات عبارة عن اسواق لها بعض الخصوصية من حيث نوعية البضائع والتحوير بطرازها اذ امتازت بتداول بضائع ثمينة تحتاج الى حماية وتواجد اصحابها بالقرب منها ، لذا استوجب اضافة طابق علوي من الغرف واحكام مداخلها ، ومن تلك القيساريات الباقية قيسارية البزازين (١١٤٧هـ - ١٧٣٤م) ؛ وسوق العتيق (١١٦٩هـ - ١٧٥٥م) ، (تخطيط ٨) ، واسباهي بزار (١٣١٢هـ - ١٨٩٤م) .

اما الخان فيتكون من فناء داخلي تحف به غرف تتقدم كل منها خزانة من كافة الجوانب وبعض الدكاكين التي تحف بالمدخل . وقد يضاف اليها طابق علوي وسرداب لخزن بضائع اصحاب المحلات والدكاكين المجاورة . ومن الخانات التراثية الباقية خان الكمرك (١١١٤هـ - ١٧٢٢م) (تخطيط ٩) وخان حمو القدو (١٣٠٠هـ - ١٨٨١) .

وبالنسبة للحمامات العامة فقد وجدت في منطقة الاسواق لاستخدامها من قبل روادها حيث غلبت على الحمامات الخاصة لعدم وجود اسالة للماء آنذاك ولحاجتها الى وقود لايمكن تهيئته بسهولة .

وقد صممت بشكل يضمن الانتقال التدريجي من البرودة الى الحرارة وبالعكس شأنها في ذلك شأن معظم الحمامات المماثلة في الطرز القديمة ومثيلاتها في البلاد العربية الاسلامية الاخرى . فاشتملت على مشلح محل (خلع الثياب) ، ثم المسبح وحجرة تفصل بينهما الغاية منها عدم الانتقال المفاجيء من البرودة الى الحرارة وبالعكس .

---

(١) كاسكل : المرجع السابق ، ص١٧ .

(٢) فن العمارة الاسلامية ، ص٧٣ .

(٣) الدكتور سامي سعيد الاحمد : المستمرة الآشورية في آسيا الصغرى ، ص٨٩ .

وتغطي جميع اقسام الحمامات القباب ويتميز المسبح بتكونه من ساحة وسطية تحف بها ثلاثة اواوين مقببة في كل منها ثلاثة احواض بالاضافة الى محل الدواء ؛ وتغطي كل ذلك قبة مشتركة فيها شبابيك عالية لادخال الضوء . وخير مثال على ذلك حمام العطارين (١١٦٩هـ – ١٧٥٥م) (تخطيط ١٠) .

ومن المباني التراثية الاخرى في المدينة الجوامع والمدارس .. فبالنسبة للمدارس التي تعتبر الاعدادية الشرقية مثلها الفريد المتبقي فتتكون من فناء مستطيل تحف به غرف الطلبة تتقدمها اروقة ويعلو ذلك طابق علوي مماثل للطابق الاضي .

اما الجوامع التي يعد جامع الاغوات مثالاً عليها فيتكون من مصلى يتقدمه رواق والى الغرب منه مدرسة دينية ملحقة به مثمنة التخطيط ؛ وأمام المصلى يقع الفناء الرئيس للجامع (تخطيط ١١) (١١١٤هـ – ١٧٠٢م) .

وهذا التخطيط يعد امتداداً للتطور العام الذي أصاب تخطيط المساجد منذ القرن ٦هـ – ١٢م في الموصل حيث صار المسجد يتكون من بيت للصلاة في القسم الجنوبي الغربي من مساحة المسجد وفناء مكشوف يحيط بالمصلى من جهات ثلاث بخلاف تخطيط اغلب مساجد العراق خلال القرون الهجرية الخمسة الاولى المتكونة من بيت للصلاة ومجنبتين ومؤخرة تحيط بفناء مكشوف .

ومن المحتمل جداً ان هذا التطور كان بسبب الظروف المناخية المتطرفة حيث اصبح بيت الصلاة يؤلف المصلى الشتوي . ورواق او (اسكوب) يتقدمه وينفتح عليه مباشرة المصلى الصيفي (١) .

ومما تقدم من استعراضنا لتصاميم مباني الموصل التراثية وجدناها تتألف من كثير من من العناصر المعمارية بعضها تشترك فيها كافة المباني بدون استثناء تقريباً كالسقوف المقببة والفتحات الصغيرة في أعالي الجدران وبعض السقوف، وبعضها على الرغم من كونه محوراً لاغلب المباني كالفناء ، الاّ ان بعض المباني خلت منه لخصوصيتها الوظيفية كالاسواق والحمامات ،وعناصر اخرى تركزت في مبان اخرى اكثر من غيرها كالسراديب والمداخل المنكسرة كما هو الحال في بيوت الطبقات الموسرة والحاكمة . وسوف نستعرض اسباب استخدام تلك العناصر والتنويه بأصولها.

---

(١) سلمان : العمارات العربية الاسلامية ، ج١ ، ص٢٨ .

فقد امتازت جميع الابنية التراثية في الموصل بتغطيتها بالسقوف المقببة من قباب وأقبية وأواوين وعقود لاسباب مناخية وانشائية واقتصادية (التخطيطات ٣ ــ ١٧) .

فالسقوف المقببة تحد من الحرارة المتسربة داخل المباني بسبب عدم تعرض سطحها المنحني بالكامل لاشعة الشمس خلال ساعات النهار صيفاً ؛ خلافاً لما يحدث بالنسبة للسطوح الافقية وبالتالي يقل الضغط الحراري على الفراغات الداخلية للمبنى ويحميها من التقلبات الجوية في الخارج ، كما ان حركة الهواء تنشط مابين الجزء المظلل الداخلي والجزء الخارجي المشمس منها مما يساعد على التخلص من الهواء الساخن الملاصق للجزء المشمس ويعمل على التخلص من مضاعفاته الحرارية باستمرار (١) . كذلك فان هذا الاسلوب المقبب للسطوح يساعد على تخفيف القوى الضاغطة على الحيطان والأسس التي ترتكز عليها وتكون اكثر تماسكاً من السقوف المستوية . هذا بالاضافة إلى اهميتها الخصوصية بالنسبة للمباني الدينية كالجوامع حيث تضفي على البناء قدسية وتعطيه نوعاً من الشموخ والعظمة فالتقعر الحاصل في سقف القبة من الداخل يقود الانسان إلى التأمل قلما يجده المرء في الأبنية المسطحة (٢) ، كما تكمل وظيفة المحراب لزيادة صوت الامام وايصاله إلى المصلين ؛ وفي الحمامات يعيق التقبب عملية تكاثف الابخرة ، اما الايوان في البيوت فبالاضافة لما تقدم فانه يعد فضاءاً مسقفاً يستخدم في المناسبات المختلفة للعائلة .

والعراقيون أول من ابتدع التقويس في البناء منذ العصر السومري . ففي مدينة اربدو وجد نموذج للعقد الكامل (٣) وبعض سراديب المقبرة الملكية كانت مغطاة بالأقبية (٤) واقتبسها الفرس من العراق ويغلب الظن انها انتقلت إلى الطراز الروماني (٥) .

وعرفت اولى نماذج الاواوين التي استخدمت في الاجنحة الحيرية لبيوت الموصل في الحضر واخذ الساسانيون هيئتها واستخدموها في طاق المدائن (طيسفون) (٦) .

---

(١) الخولي : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) الدكتور احمد قاسم الجمعة : العناصر المعمارية والفنية لقبة الصخرة والمسجد الاقصى ، ص ٢٣٧ .

(٣) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط١ ، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٢٧٥ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٧٥ ، فارس : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٥) الدكتور فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، م١ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٦٦ .

(٦) جواد : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

وقد عالج المعمار الموصلي الفراغ المتخلف بين الانحناءات الخارجية للايوان والغرف الجانبية فبنى فيه عدة عقد صغيرة وملأ بعضها بالاواني الفخارية حتى الاعلى ثم سوى كل ذلك بسقف اضافي مسطح واستخدم اجزاء منها كمخازن للحبوب والمواد الثمينة وقت الاضطرابات بعد تمويه مداخلها وتسمى الاخشيم (تخطيط ٥) . وبهذا حقق المعمـــار اقتصاداً بمواد البناء وعزلاً حرارياً وابعاد المياه عن تلك الفراغات واستفاد من السطح المستوى لاغراض متعددة منها المبيت عليه صيفاً .

اما وجود الفتحات الصغيرة في اعالي الجدران والاسطح في معظم المباني فساعد عـــلى ادخال الضوء تعويضاً عن الشبابيك التي انعدمت او كادت في الحيطان السفلى لاسبـــاب اجتماعية وأمنية ، كما عملت على التخلص من الهواء الساخن المتجمع في اسفل سقوف الفراغات الداخلية وذلك بتحريكه قبل ان يحدث تأثير على درجة الحرارة الداخلية (١) ، اما صغر الفتحات فقد ساعد على تقليل الطاقة الحرارية المتسربة داخل المبنى كما حد من قوة الابهار بالفراغات الداخلية صيفاً (٢) .

ووجدت مثل هذه الفتحات في العهـد الاسلامي المبكر في مدينة الفسطاط (٣) ، وتمتد بأصولها الى الطرز المعمارية السابقة للاسلام ، ولا سيما في العراق (٤) ومصر (٥) .

اما الفناء الذي يعد محوراً لمعظم الابنية فقد استمدت منه اغلب حاجتها من التهويـــة والانارة ، وحد من ظاهرة الابهار التي تشتد في الاقطار العربية الاسلامية جميعها مـــن الاندلس حتى شمال الهند وكان بمثابة مرشح للهواء من الغبار والاتربة كما ساعد عـــلى تخفيف ضوضاء الطرق والازقة وكان يختزن الدفء في الشتاء عند غلق الابواب والفتحات الخارجية لتحول دون مرور تيارات الهواء ، وكان يحدث عكس ذلك في الصيف فيعمل على تلطيف شدة الحرارة اذ تركت لتيارات الهواء الحرية في الانطلاق من خلال الفناء وفتحات المبنى ، ويزيد ذلك النفع تلك الحدائق والنافورات التي تتوسط بعض المباني هـذا بالاضافة الى تحقيقه غرضاً دينياً واجتماعياً بحجبه سكان المبنى ولا سيما النساء عن انـظار المارة بالخارج (٦) .

---

(١) الخولي : المرجع السابق ، ص٣٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٣٨ .
(٣) فريال : المرجع السابق ، ص١٦ .
(٤) الباشا : المرجع السابق ، ص٥٠ ، موسكاني : المرجع السابق ، ص١٠٨ .
(٥) عبد الجواد : المرجع السابق ، ص٧٩ ، شكري : المرجع السابق ، ص٣٧ .
(٦) شافعي : المرجع السابق ، ص٢٩ .

والفناء لازم معظم المباني في اغلب الطرز المعمارية القديمة ولا سيما التي سادت في الوطن العربي والامثلة كثيرة لاحصر لها واستخدم لنفس الأسباب .

ومن العناصر التي تركزت في البيوت ولا سيما الخاصة منها السراديب التي تمتد تحت بعض اجنحتها الارضية واحياناً تحت افنيتها على الرغم من اشتمال بعض الخانات على السراديب لغرض خزن البضائع (تخطيط ١٢) .

وتتميز سراديب البيوت بتفاوت عمقها وتباين مساحتها تبعاً للغرض الذي استخدمت لاجله وتميزت بعض السراديب الواقعة تحت الاجنحة ومرافق البيت بارتفاع سقفها قليلاً عن مستوى الفناء بغية استحداث بعض الشبابيك لعرض التهوية والاضاءة .

واستخدمت السراديب لخزن الحبوب والمواد الغذائية والوقود ومزاولة بعض المهن كالحياكة وبعضها كمربط للحيوانات ويأتي في مقدمة تلك السراديب (الرهرة) الذي يستخدم للقيلولة من قبل سكان البيت ويزود عادة بملاقف هوائية تصل بينه وبين السطح او الطابق العلوي لتلطيف درجات الحرارة (تخطيط ٥ ، ٦ ، ١٢).

وملاقف الهواء استعملها الآشوريون والبابليون في العراق القديم (١): كما استخدمها المصريون القدماء خلال الاسرة التاسعة (٢). وتطالعنا في العصر الاسلامي في قصور سامراء (٣).

هذا وترجع السراديب في العراق الى العصور السابقة للاسلام كالعصر السومري(٤)، والعصر الكلداني (٥).

اما الاروقة التي تتقدم الغرف وبعض المشتملات في البيوت وبعض الخانات فقد استخدمت بصورة عامة لوقاية الابنية التي تتقدمها من الحر الشديد صيفاً والبرد القارس والامطار شتاءاً (تخطيط ١٢).

---

(١) حميد محمد حسن : المرجع السابق ، ص٣٠٣ .

(٢) شكري : المرجع السابق ، ص٣٨ . عكاشة : المرجع السابق ، ص٦٠ .

(٣) حميد محمد حسن : المرجع السابق ، ص٣٠٤ .

(٤) باقر : المرجع السابق ، ص٢٧٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٢٦٨ .

وترجع ظاهرة استخدام الاروقة في العراق الى عصور بعيدة حيث وجدت اروقةفي بعض بيوت قرية حسونة (١) ثم تمثلت بعد ذلك في البيوت (٢)السومرية، والعهود التالية.

وفي العصر الاسلامي استخدمت الاروقة في ابنيته المبكرة. اما المسجد النبوي في المدينة(٣) ودار الامارة في الكوفة وقصر الأخيضر (٤) وشاعت بعد ذلك في قصور سامراء (٥). واستمرت حتى عهود متأخرة.

وبالنسبة للمداخل فقد شاع النوع المغطى بقنطرة في الاسواق والقيساريات والخانات والحمامات .اما في البيوت فمنها ماكان بسيطاً يفضي الى الفناء مباشرة ،وبعضها على هيئة مجاز مقبب او عليه قنطرة ومنها ماكان على هيئة مدخل منكسر او متعرج وهو الذي اقتصر على بيوت الموسرين وأرباب الحكم (التخطيطات ٣: ٤) (٦) .

والمجاز أو الدهليز وجدت نماذجه بالعراق منذ العهد السومري (٧)؛ وربما تطور منه عنه المدخل المنكسر أو المتعرج.

ويعد المدخل المنكسر من العناصر المبتكرة في العمارة العربية قبل الاسلام وذلك لوجوده بصورة واضحة في مدينة الحضر (٨). وفي العصر الاسلامي يطالعنا في بداية الامر في دارالامارة بالكوفة (٩) ، ومدينة بغداد (١٠). ثم قلعة صلاح الدين في مصر (٦هـ – ١٢م) وتعداه الى المغرب العربي كما يلاحظ في مدخل الرواح بالرباط من فترة معاصرة (١١).

---

(١) فؤاد سفر : حفريات تل حسونة ، سومر ، م١ لسنة ١٩٤٥ ، ٣٤٠ .
(٢) حميد محمد حسن : المرجع السابق ، ص١٤٥ .
(٣) الشافعي : المرجع السابق ، ص٦٥ .
(٤) حميد محمد حسن : المرجع السابق ، ص٢٩٧ .
(٥) مديرية الاثار العامة : حفريات سامراء ، ج١ ، ص٢٧ .
(٦) التخطيطات الواردة بالبحث من عمل مكتب الانشاءات الهندسي بالموصل .
(٧) الباشا : المرجع السابق ، ص٥٥ ، الخالصي : المرجع السابق ، ص٢٨ .
(٨) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ، ص١١
(٩) فريال : المرجع السابق ، ص٤٥ .
(١٠) طاهر مظفر العميد : بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ص٢٢٠ ، ٢٣٢.
(١١) الدكتور أحمد قاسم الجمعة : اهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الاسلامي ، آداب الرافدين ، العدد ٩ ، ايلول ١٩٧٨ ، ص١٩٧ .

واتخاذ مثل هذه المداخل في البيوت كان لاسباب اجتماعية في حين كان استخدامها في المدن لأسباب أمنية .

ومما تقدم يتضح لنا أن المميزات والتصاميم المعمارية التي تمثلت في مباني الموصل التراثية لعبت دوراً كبيراً في النمو الحضري فيها، واستقطبت مايقارب ٨٠ ٪ من مجموع سكان المدينة حتى بداية الخمسينات لانها أخذت بنظر الاعتبار كافة الامور المؤثرة في حياة السكان ولاسيما المناخية منها وعالجت المشكلات الناجمة عنها، ووضعت الحلول اللازمة لها، وان معظمها كان يرجع بأصوله الى الطراز المحلية القديمة قبل مئات السنين بتواصل حضاري اثبت الزمن نجاحه ،ولهذا فلاعجب ان نجد بعضها معمولا به حتى الوقت الحاضر: كالسراديب والطارمات والنظام المتراص والاروقة واجنحة الاستقبال المفصولة عن بقية اجنحة الدار ومشتملاته والحديقة التي تتقدم البيت أو تدور حوله التي تقوم مقام الفناء التراثي وتؤدي بعض وظائفه وكثرة استخدمات الاحجارا الكلسية ولاسيما في التكعيبات والجص في الملاط.

تخطيط (١) خارطه الموصل القديمه

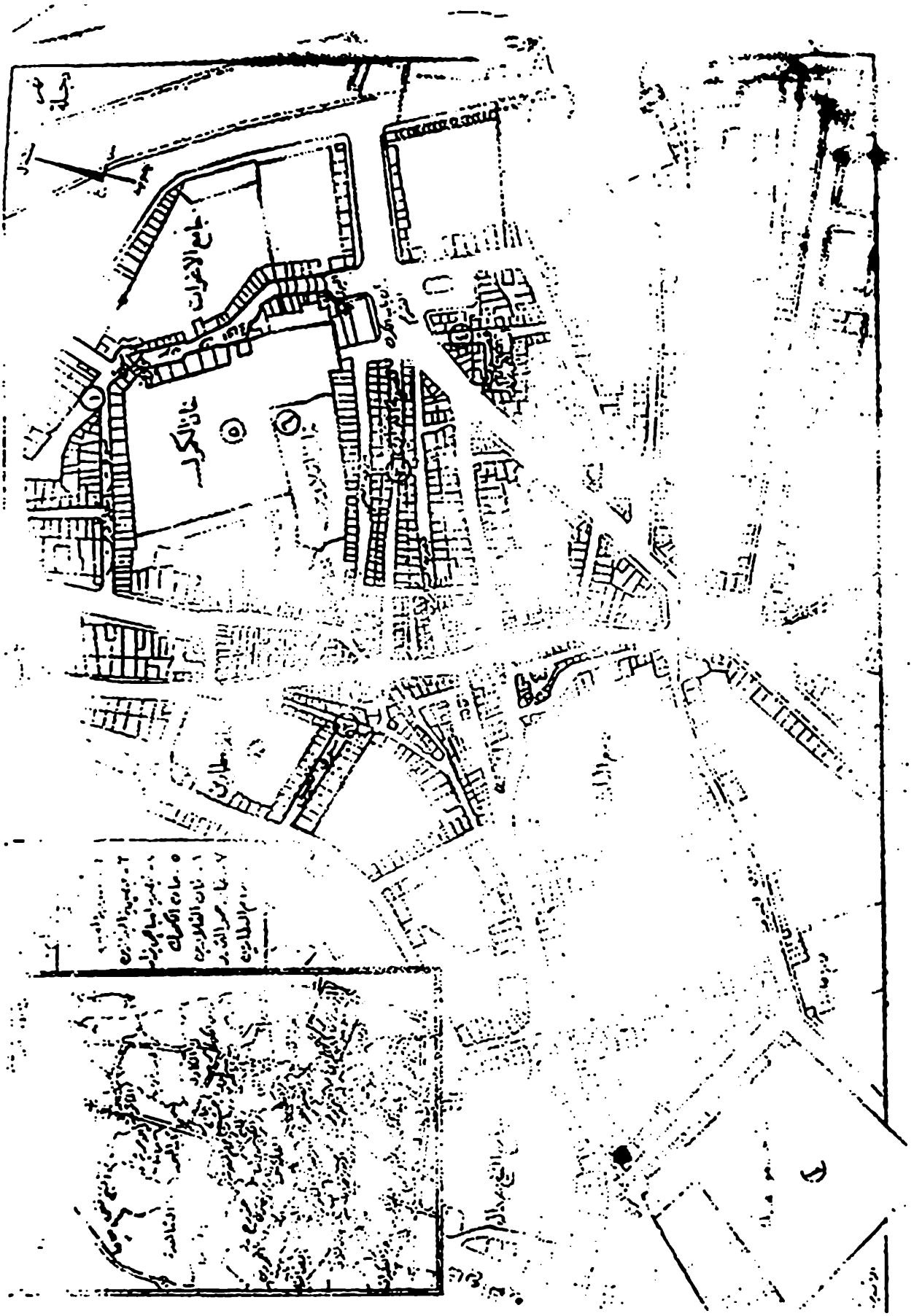

خط (٢) خارطة الاسواق والقيساريات والخانات والجوامع والحمامات القديمة بالموصل

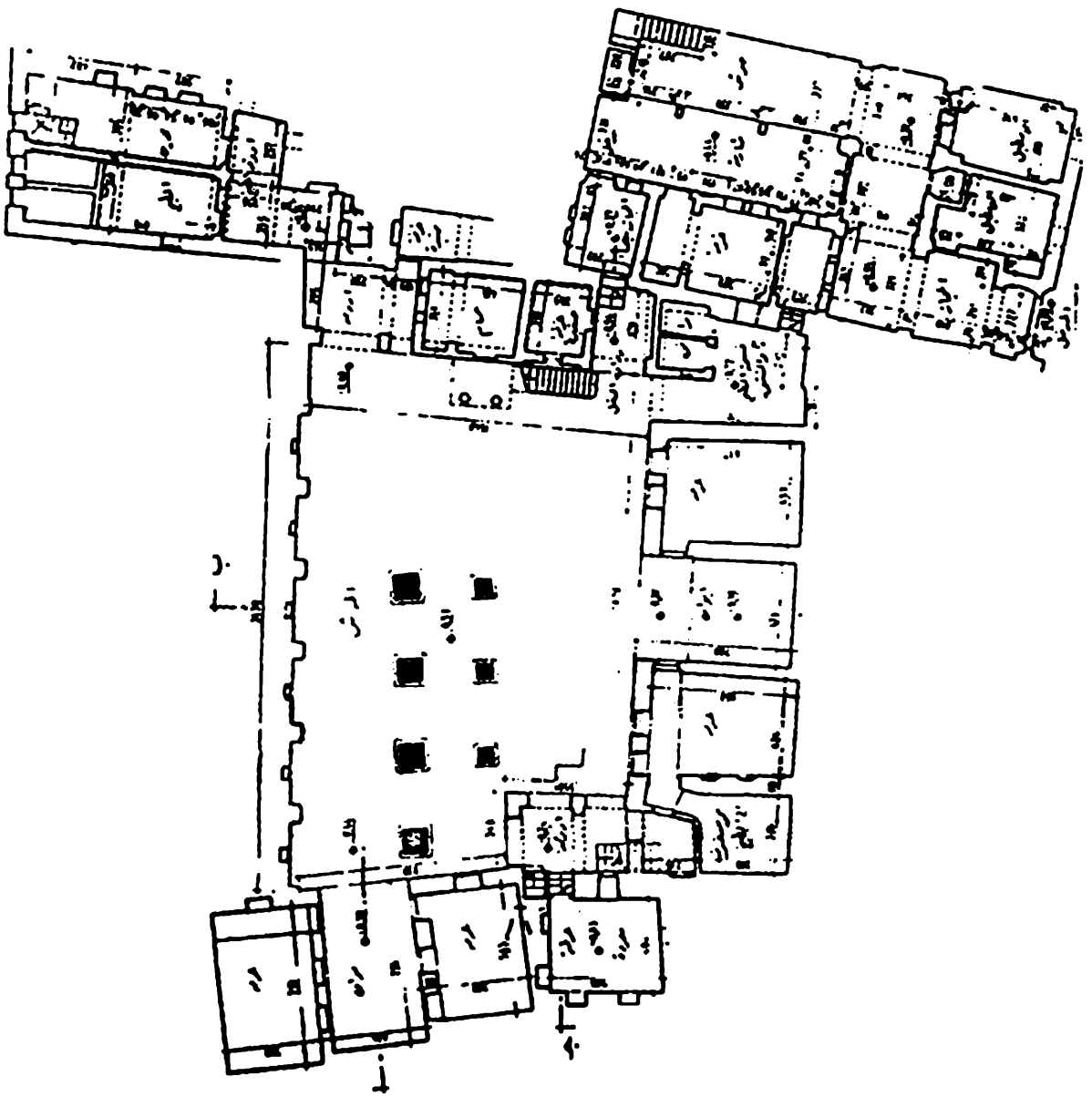

تخطيط (٢) مخطط الطابق الارضي لبيت امين بك الجليلي (١١٦٢هـ/١٧٤٨م)

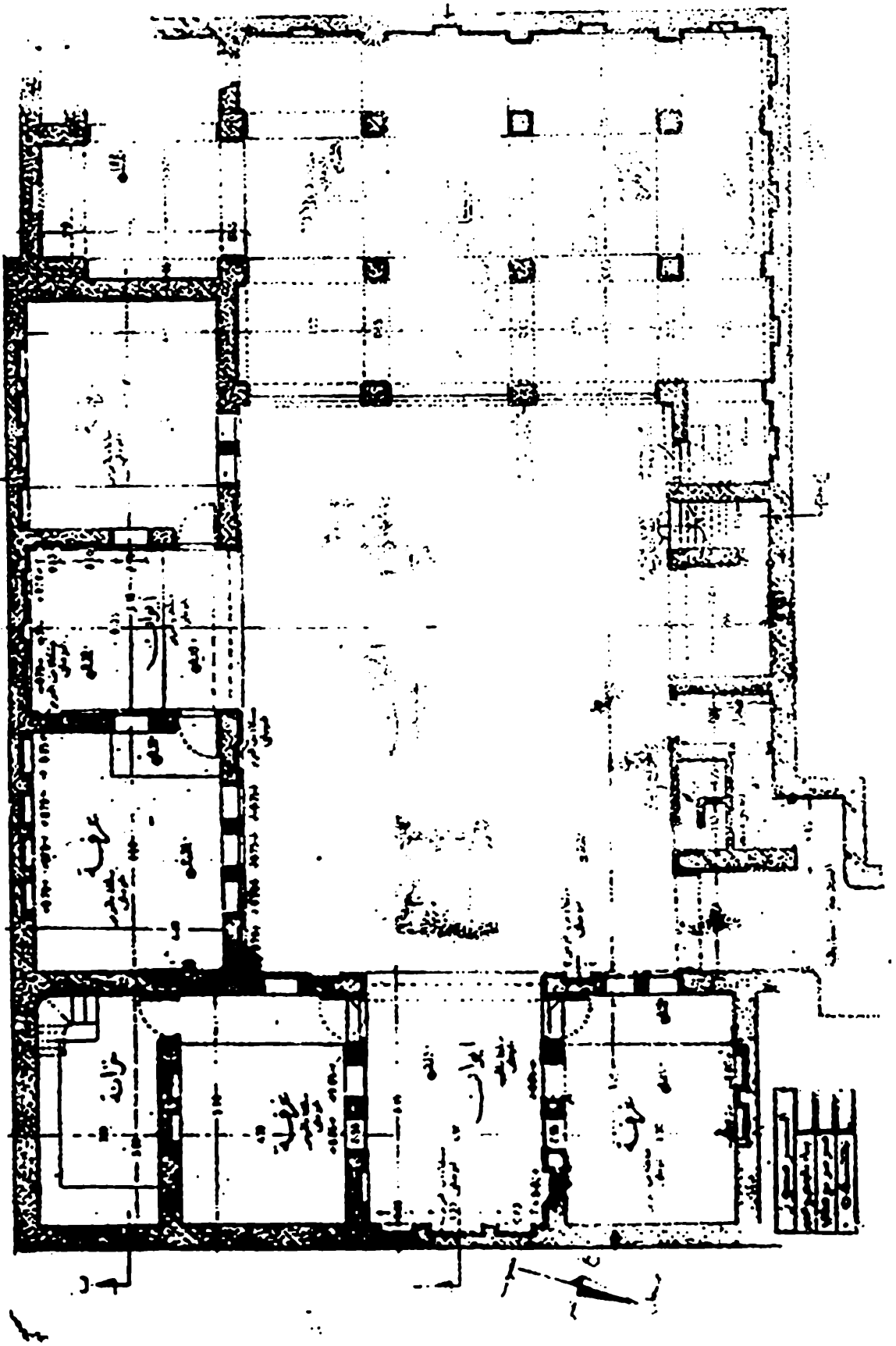

تخطيط (٤) مخطط الطابق الارضي لبيت التوتونجي بالموصل (١٢٢٢هـ/١٨١٥م)

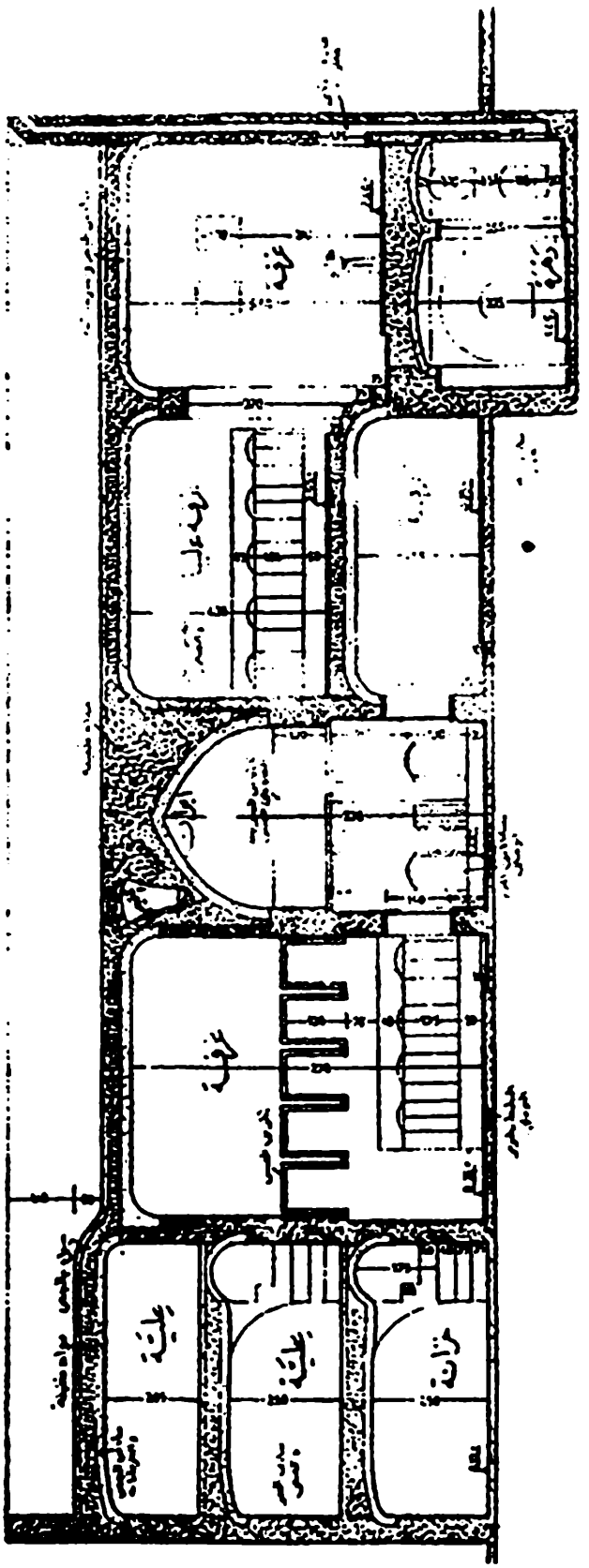

تخطيط (٥) ـ قطع من بيت الكوكوجي بالموصل (١٢٢٢هـ / ١٨١٥م)

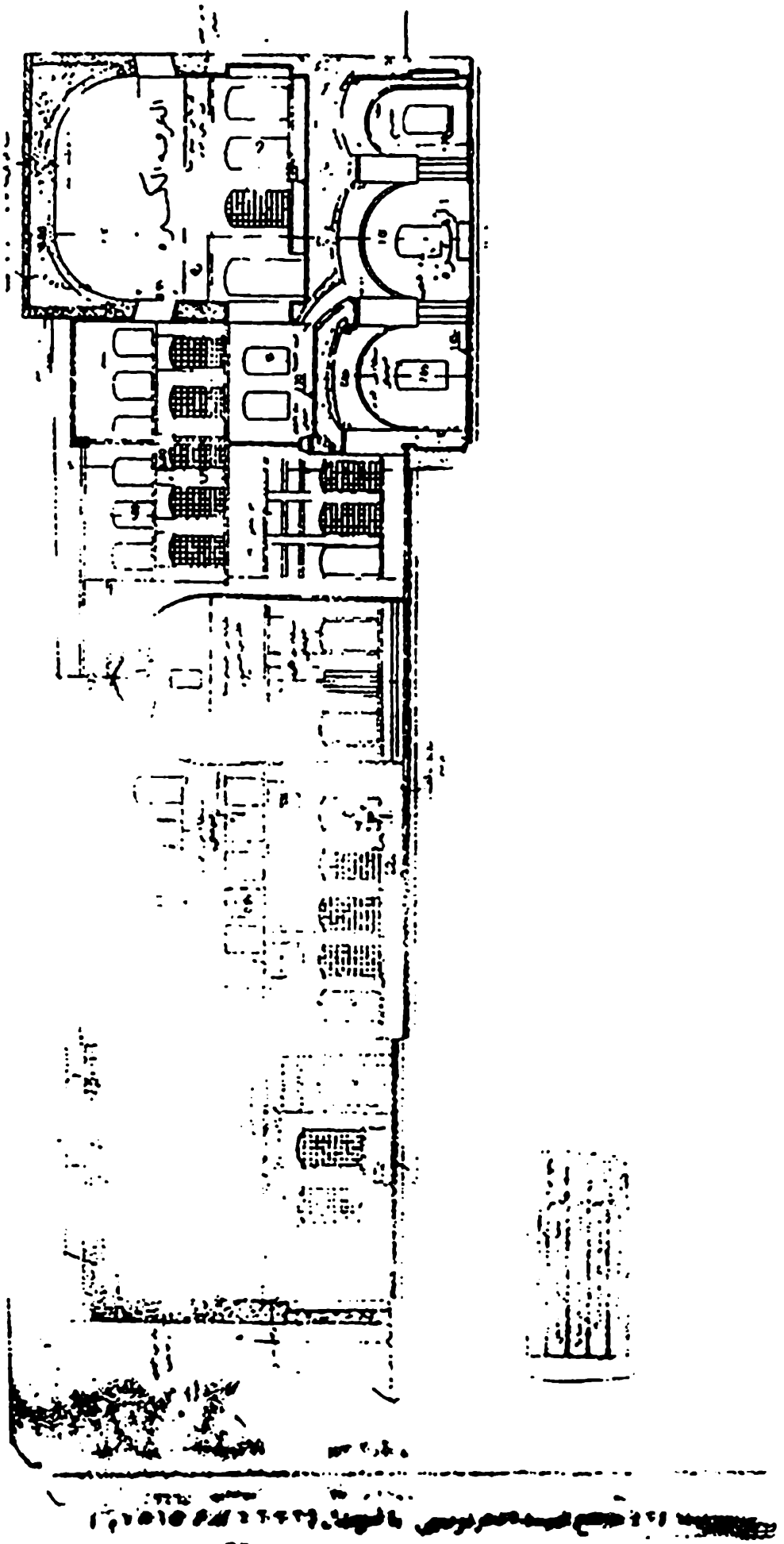

٣٤٢ تخطيط (٦) مقطع لبيت التونجي بالموصل (١٢٢٢هـ / ١٨١٥ م)

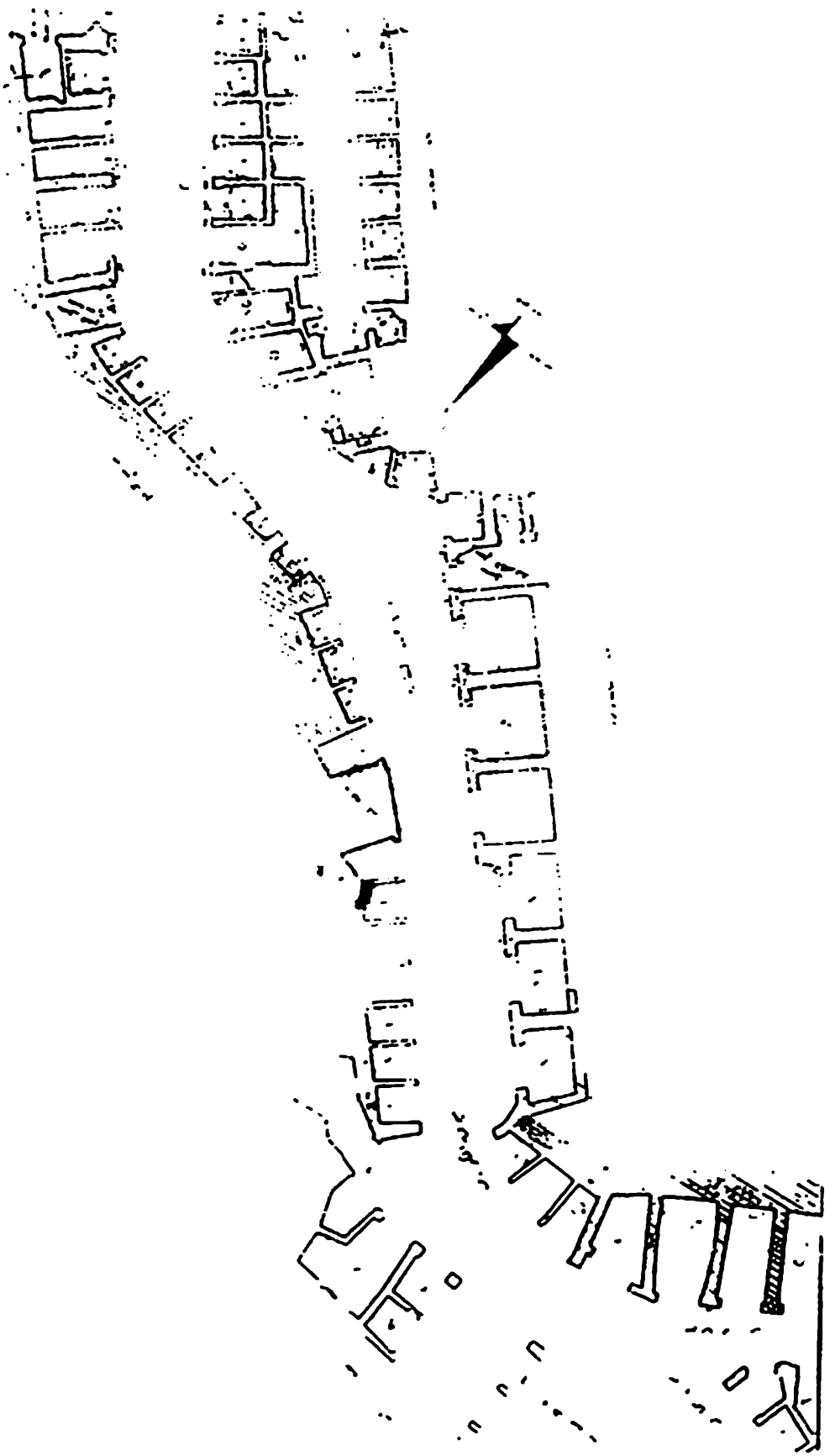

تخطيط الموصل مخطط لسوق تحت المنارة والاسواق القريبة له بالموصل

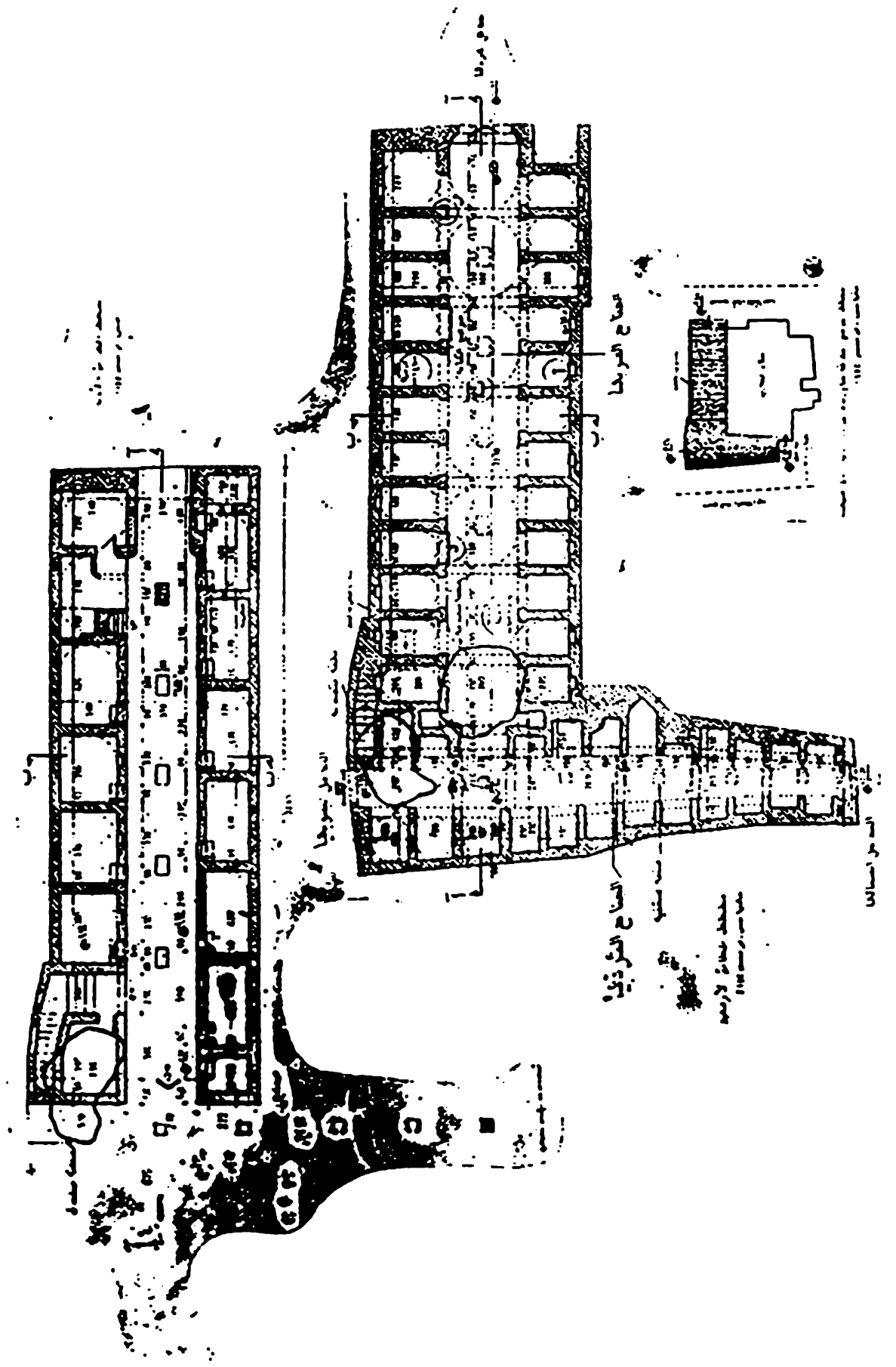

تخطيط (٨) مخطط الطابقين الارضي والعلوي لقيسريه سوق العقيق بالموصل (١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م)

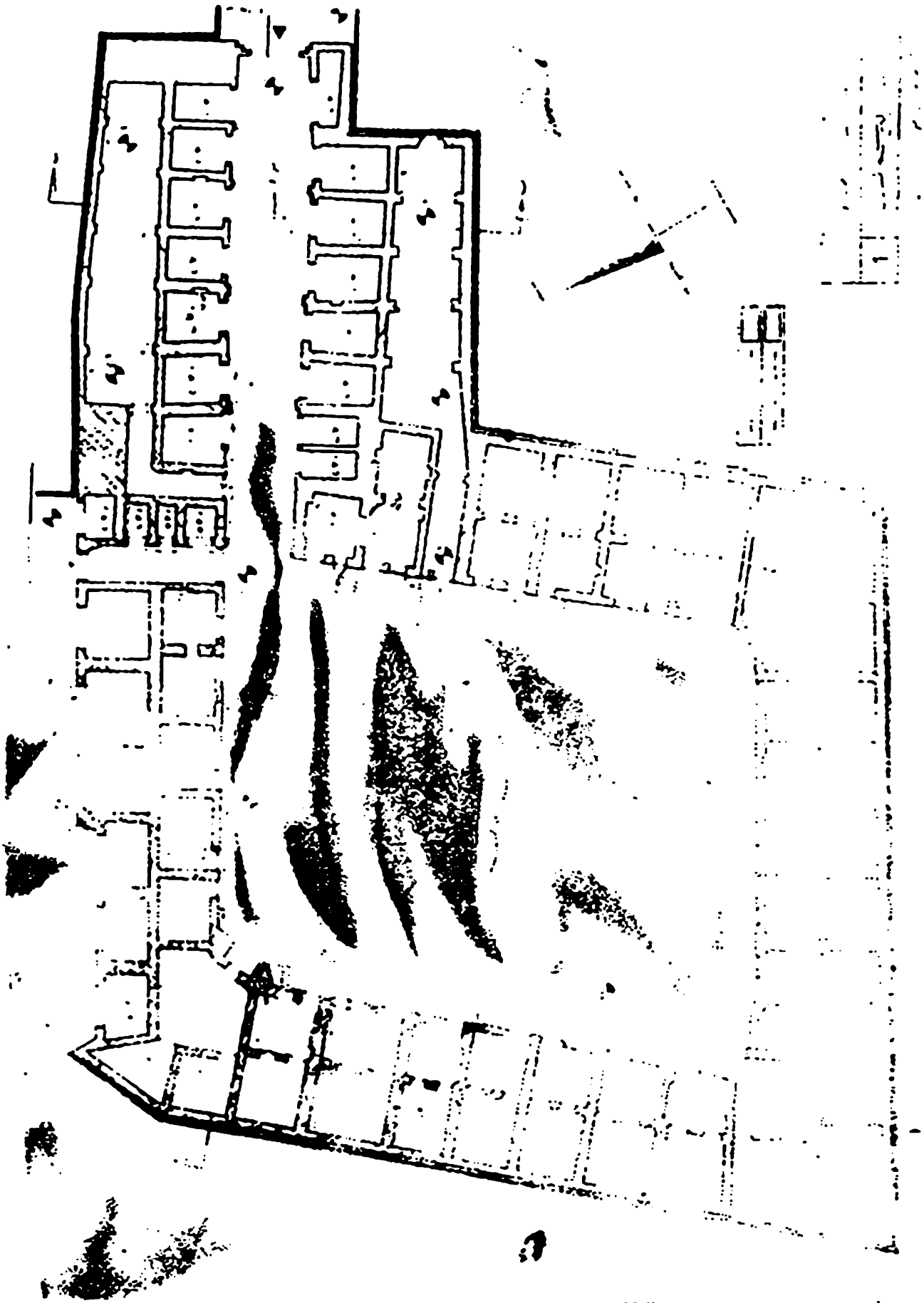

تخطيط (٩) مخطط الطابق الارضي لخان الكمرك بالموصل (١١١٤هـ/١٧٠٢م)

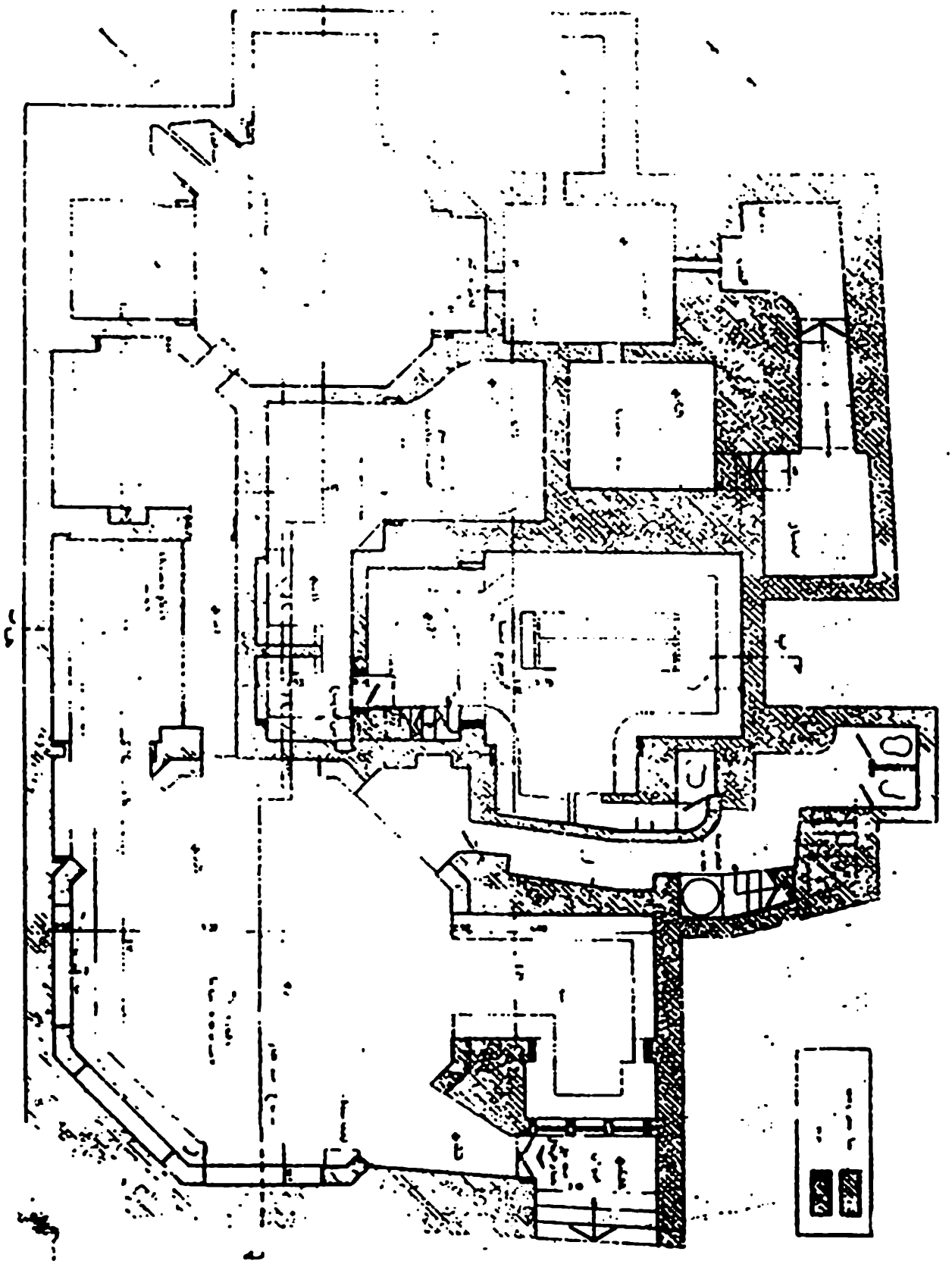

لخطيط (١٠) مخطط حمام العطارين بالموصل (١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م)

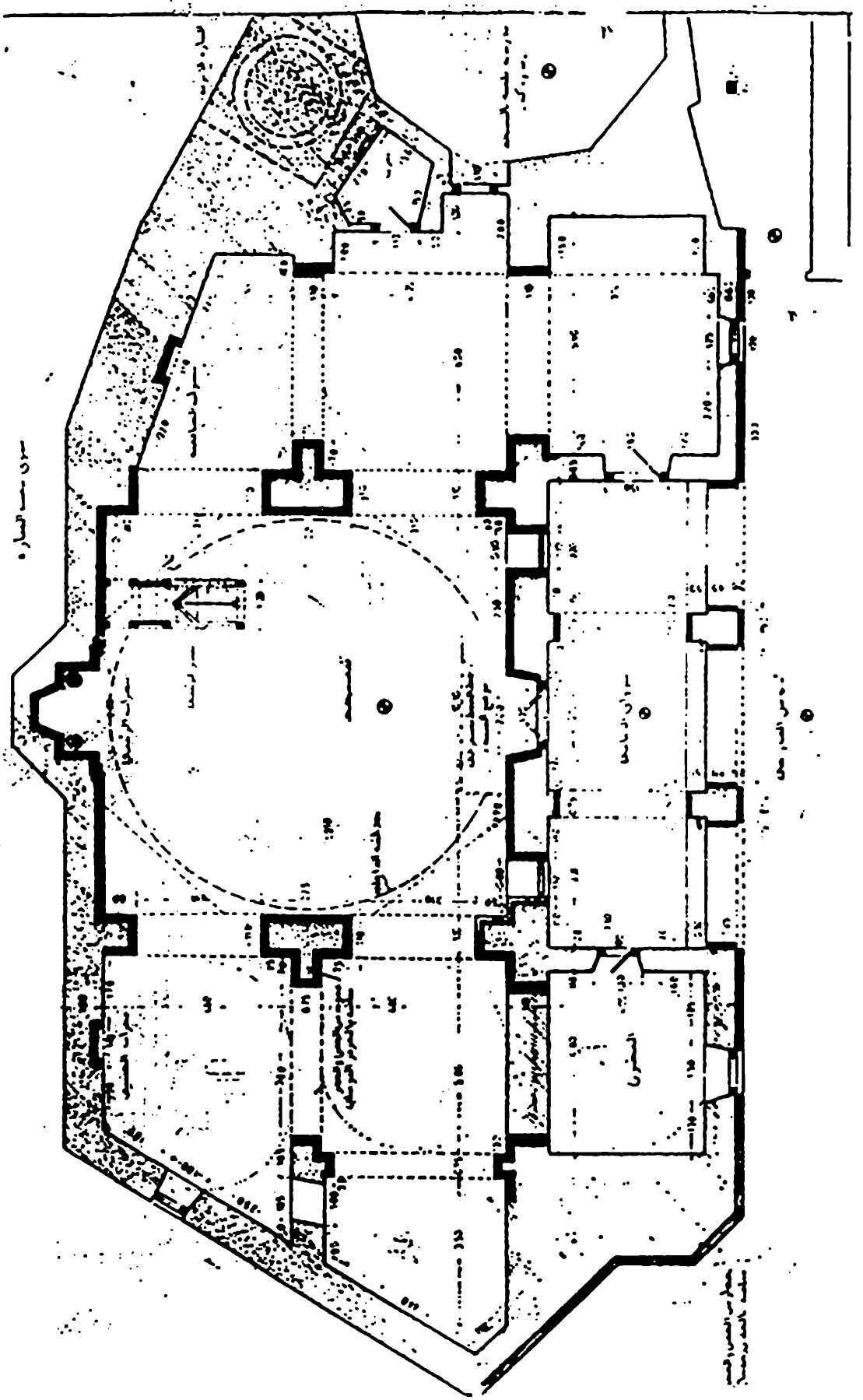

(١١) مخطط جامع الأقوات بالموصل (١١١٤هـ/١٧٠٢م)

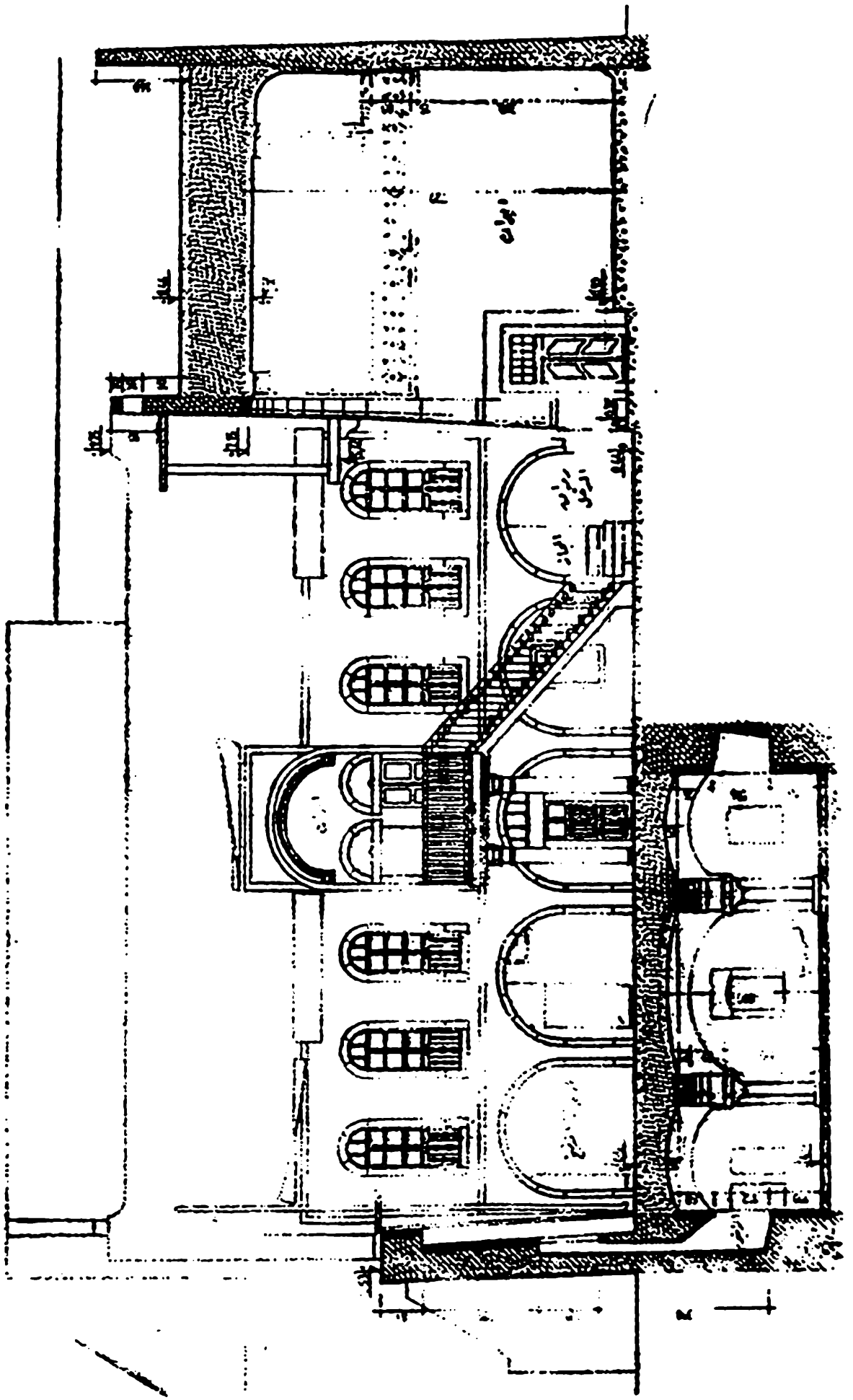

تخطيط (١٢) مخطط بيت امين بك الجليلي (١١٦٢هـ/١٧٤٨م)

المصادر والمراجع والبحوث المعتمدة

- ابن الأثير : عز الدين علي بن اكرم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ).
  أسد الغابة في اخبار الصحابة ، طهران ١٣٧٧هـ .
- ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت٣٦٥هـ) .
  مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢هـ .
- ابن كثير : عماد الدين اسماعيل بن عمر القريشي (ت٧٧٤هـ) .
  البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .
- احمد قاسم الجمعة (دكتور) :
  - اهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي.
  في العصر الاسلامي : مجلة آداب الرافدين . العدد ٩ . ايلول ١٩٧٨م
  - العناصر المعمارية والفنية المميزة لقبة الصخرة والمسجد الاقصى ، آداب الرافدين ، العدد ١٥ ، ايلول لسنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
  - محاريب مساجد الموصل الى نهاية حكم الأتابكة ٦٦٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة القاهرة ١٩٧١م .
- الأزدي : ابو زكريا يزيد بن محمد
  تاريخ الموصل : ج٢ ، تحقيق الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ١٩٦٧م :
- البلاذري ابو جعفر احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) .
  فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٧م .
- توفيق احمد عبد الجواد :
  تاريخ العمارة والفن في العصور الاولى ، ج١ ، القاهرة ١٩٧١م .
- حسن الباشا (دكتور) :
  تاريخ الفن في العراق القديم ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٦م .
- حمدان عبد المجيد الكبيسي
  أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ١٩٧٧م .
- حميد محمد حسن:
  البيت العراقي في العهد العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ١٩٨٢م.

- الحموى: ياقوت شهاب الدين أبي عبيد الله (ت٦٢٦هـ).
معجم البلدان ،لايبزك ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م.
- خالص الأشعب (دكتور):
تطور العمارة السكنية في صنعاء، مجلة سومر،م ٣٤، لسنة ١٩٧٨م.
- سامي سعيد الأحمد (دكتور):
المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى ،سومر ،م٣٣لسنة ١٩٧٧م.
- سعد عبد العزيز الراشد (دكتور):
تقرير موجز لنتائج الموسم الأول للحفائر الأثرية في موقع زبدة الاسلامي:
مايو ١٩٧٩م، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ،م ٧، ١٩٨٠م.
- سعيد الديوه جي:
البيت الموصلي ،مجلة التراث الشعبي ،العدد ١،١٩٧٥م.
جسر الموصل في مختلف العصور، سومر، م١٢، لسنة ١٩٥٦م.
- شريف يوسف:
تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد ١٩٨٢م.
- شمس الدين فارس (دكتور) وسلمان عيسى الخطاط:
تاريخ الفن القديم ،ط١، بغداد ١٩٨٠م.
- صالح لمعي مصطفى :
المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثرها المعماري ، بيروت ١٩٨١م .
- طاهر مظفر العميد (دكتور) :
بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- طه باقر :
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط١ ، بيروت ١٩٧٣م .
- عبد الرحمن الانصاري (دكتور) :
«قرية» الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية
جامعة الرياض ١٣٧٧هـ - ١٤٠٢م .
- عبد القادر المعاضيدي :
خطط واسط في العصر العباسي ، سومر ، ٣٤ ، لسنة ١٩٧٨م :
- عفيف بهنسي (دكتور) :

تكوين الفن العربي الاسلامي في ديار الشام : الحوليات السورية ، م٢٢ ، لسنة ١٩٧٢م .

- علاء الدين احمد العاني :
المشاهد ذات القباب المخروطية في العراق . بغداد ١٩٨٢م .

- عماد عبد السلام رؤوف :
الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي) : النجف ١٩٧٥م .

- عيسى سلمان (دكتور) وآخرون :
العمارات العربية الاسلامية في العراق : جزءآن : بغداد ١٩٨٢م .

- فريال مصطفى :
البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي : بغداد ١٩٨٣م .

- فريد شافعي (دكتور) :
- العمارة العربية في مصر الاسلامية : م١ : القاهرة ١٩٧٠م .
- العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ط١ : الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى :
- حفريات حسونة ، سومر : م١ : لسنة ١٩٤٥م .
- الحضر مدينة الشمس : بغداد ١٩٧٤م .

- كاسكل (فيرنر) :
الاخيضر . ترجمة الدكتور خالد اسماعيل : سومر : م٢٥ : ١٩٦٩م.

- محمد ازهر السماك (دكتور) :
استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى عام ٢٠٠٠) : جامعة الموصل ١٩٨٥م .

- محمد انور شكري (دكتور) :
العمارة في مصر القديمة : القاهرة ١٩٧٠م .

- محمد بدر الدين الخولي :
المؤثرات المناخية والعمارة العربية : جامعة بيروت العربية ١٩٧٥م .

- محمد حماد (دكتور) :
تخطيط المدن وتاريخه ، ط١ : القاهرة ١٩٦٥م .

- مصطفى جواد (دكتور) :
الايوان والكنيسة في العمارة الاسلامية : سومر : م٢٥ ، لسنة ١٩٦٩م .
- موسكاتي (سبتينو) :
الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور سيد يعقوب بكر ، القاهرة.
- نوبلكور (كريستيان دبروش) :
الفن المصري القديم، ترجمة محمود خليل النحاس واحمد محمد رضا ومراجعة الدكتور عبد الحميد زايد ، القاهرة ١٩٦٦م .
- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٦٠هـ) .
تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م .